مجلة المنتدى الأكاديمي (العلوم الإنسانية)
المجلد (7) العدد (3) سبتمبر 2023م
ISSN (Print): 2710-446x , ISSN (Online): 2710-4478
تاريخ التقديم: 2023/03/21م، تاريخ القبول: 2023/07/20م، تاريخ النشر: 2023/10/17م

دور الجواري في الحياة السياسية والاجتماعية في الدولة العباسية (132-656هـ/ 749- 1258 م)

محمد عمر بشينة
قسم التاريخ، كلية الآداب، الجامعة الأسمرية الإسلامية، زليتن، ليبيا
m.ebshina@asmarya.edu.ly

المستخلص

تعد الدولة العباسية من أهم الدول الإسلامية التي وصلت للعصر الذهبي في جميع المناحي، وخاصة السياسية، والاجتماعية، وهذه الورقة البحثية تدرس جانبًا مهماً في الدولة العباسية ألا وهو دور الجواري في الحياة السياسية والاجتماعية للدولة العباسية، حيث نادمن الخلفاء في بلاطهم وصحبوهن في تنقلاتهم، مما أضفى على حياتهم جانباً سياسياً واجتماعياً.

وتهدف هذه الورقة البحثية إلى تناول دور الجواري في الحياة السياسية والاجتماعية للدولة العباسية، مع إظهار ما للجواري من مهارات تختلف باختلاف جنسياتهن وإبراز دور الجواري في التأثير على سدة الحكم في البلاط العباسي.

إن طبيعة الموضوع تتطلب استخدام المنهج التاريخي والمنهج الاستقرائي، للروايات التاريخية والأدبية واللغوية، مستخدمةً أسلوب التحليل والاستنتاج ما أمكن، بغية تقديم دراسة علمية أكاديمية.

ومن أهم نتائج البحث: هناك العديد من الجواري لعبن دوراً سياسياً واجتماعياً حيث أصبحن أمهات الخلفاء وأصبحن زوجات الخلفاء، كجارية الخيزران، وأيضاً سيطرن على الكثير من قرارات الدولة العباسية في تنصيب وعزل الخلفاء، والوزراء، والقضاة، وغيرهم، وكذلك رفضهن إعطاء ولاية العهد كما حدث للهادي بن المهدي، وساهمت الجواري في الدولة العباسية في العديد من مؤامرات حريم الخليفة حيث لقيت العديد من النساء حتفهن.

الكلمات المفتاحية: التسري. الجواري. خيزران. قهرمانة.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وبعد:

فقد لعبت الجواري دوراً كبيراً في الحياة السياسية، والاجتماعية في الدولة العباسية، ونتيجةً للفتوحات والتوسع العربي الإسلامي الذي عاد على الدولة العباسية بالكثير من الغنائم، حيث أسهم في بروز الكثير من الجواري في البلاط العباسي، وبرزت منهن بضعة أسماء من الجواري اللواتي كانت لهن مواقع سياسية، واجتماعية، حيث شاركن في سياسة الدولة.

تعد دراسة الجواري في العصر العباسي من أهم الجوانب السياسية، والاجتماعية، والحضارية، حيث شهدت لنا مصادر التاريخ الإسلامي الدور المهم للجواري حتى أصبحن أمهات وزوجات لبعض الخلفاء العباسيين.

وليس هذا فقط بل تنوعت خدماتهن في الدولة العباسية، فمنهن محظِّيات للآخرين، ومنهنَّ خدم، ومنهن مغنيات وعازفات على العود، ومنادمات للخلفاء والوزراء والأدباء والشعراء حتى ذُكرن في دواوين الشعراء، ومنهن شاركن في تسيير الدولة حتى سيطرن على زمام الأمور سواء كانت سياسية أم اجتماعية، وخلَّدت أسماؤهن في مصادر التاريخ الإسلامي.

أهمية البحث

*- إبراز دور الجواري في الدولة العباسية.

*- إظهار الجانب الاجتماعي العميق في الحياة السياسية، والاجتماعية.

*- إبراز دور الجواري في النهوض بالجانب الاجتماعي، والثقافي في الدولة العباسية.

أهداف البحث

*- توظيف الدور الخفي للجواري في الدولة العباسية.

*- إبراز دور الجواري في التأثير على سدة الحكم في البلاط العباسي.

*- إبراز الدور الخطير والساحر للجواري على جُل الأمور التي تسير في الدولة العباسية.

*- إثراء المكتبة الليبية والعربية بدراسة تكون فاتحة دراسات معمقة وأكاديمية.

فرضيات البحث

تكمن فرضيات الموضوع في التساؤلات التالية:

*- هل كان للجواري تأثير فعّال على سير الدولة العباسية في الحياة الاجتماعية والسياسية .

*- هل أصبح بعض الجواري في الدولة العباسية أمهات، وزوجات لبعض الخلفاء العباسيين.

*- هل كان للجواري دور سياسي مؤثر على سياسة الحكم في الدولة العباسية.

*- هل كان للجواري دور اجتماعي مؤثر على الجانب الثقافي، والحضاري للدولة العباسية.

*- هل كان لملابس الجواري دور في وصولهن لمآربهن.

الدراسات السابقة

هناك دراسات سابقة بها جزئية من جزئيات دراسة الجواري منها:

وأهمها

كتاب يوميّات المغنين والجواري، لكمال النجمي، دار الهلال، القاهرة، (د.ط)،(د.ت)، وكتاب **حبور**. عبد النور، **الجواري** ، دار لمعارف، القاهرة ، (د. ط)،1948م، وبحثين منشورين **بشينة**. محمد عمر، البحث الأول بعنوان **دور لعبة الشطرنج في النشاط الترويحي للخلفاء العباسيين**، مجلة الجامعة المغاربية. دورية محكمة نصف سنوية، السنة 9، العدد 17، 2015م،والبحث الثاني **دور المراهنة في تقوية لعبة النرد عند الخلفاء العباسيين**، مجلة العلوم الإنسانية والتطبيقية، كلية الآداب زليتن. دورية محكمة نصف سنوية، العدد 26، حيث تحدث الكاتب في البحثين عن دور الجواري في الجانب الترفيهي للخلفاء العباسيين في لعبتي الشطرنج والنرد خاصةً.

هيكل البحث

وقد قسم الباحث هذه الورقة البحثية إلى ثلاثة محاور وهي: **المحور الأول: التعريف بالجواري**، و به مطلبان الأول: **تعريف الجواري في اللغةً**، والثاني: **تعريف الجواري في الاصطلاح**، أما **المحور أمَّا الثاني** فقد تطرق إلى **ظهور الجواري في الدولة العباسية**، واختص **المحور الثالث:** في شرح **نماذج من الجواري المهمات في الدولة العباسية** و به أربعة مطالب، أولها الجارية **الخيزران** والثانية الجارية **شغب** والثالثة الجارية **شارية**، وشرح **المحور الرابع: ملابس الجواري** والخاتمة بأهم النتائج التي توصلت إليها الورقة، ثم ذيّل الباحث الورقة بقائمة المصادر والمراجع التي تم استقاء المادة العلمية منها.

المحور الأول: تعريف الجواري

أولاً: في اللغة:

الجارية في اللغة هي: الفتاة التي تباع وتُشرى في سوق النخاسين(*) (نجم، 525)، (ابن منظور، 555/7)، وقد جيء بها من البلاد البعيدة (الطبري، 327/4)،

كما تُعرَّف الجارية في اللغة بأنها المملوكة، والجارية الفتاة الصغيرة والتي تطلق على الفتاة الأنثى الشابة والناضجة (عطية، 55). كل أمّةٍ جارية وإن كانت عجوزاً لا تقدر على السعي سُمِّيت على ما كانت عليه والجمع فيها جواري (الفيومي، 4)، ويضيف صاحب معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية أن الجارية: هي الأمة وإن كانت عجوزاً (نجم، 172).

ثانياً: في الاصطلاح:

وهي تُعرَّف أيضاً على أنها مرادف لاصطلاحات الإماء، والسراري، والقيان، وأمهات، الأولاد، والجارية الفتيه من النساء تجمع على الجواري (ضيف، 124)، والقهرمانات وهي جميعا تعرف بالجواري إلى أنواع فمنها من تسترق طول حياتها ثم تباع أو تورث، ومنها من يهبها مولاها، أو يبيعها أو تلد له فتجرر بعده، ومنها ما يوصي بها مولاها بعد وفاته بعتقها (الجاحظ، 2 / 175.176).

ويرى الباحث مما سبق أن الجارية تُعرَّف بأنها كل امرأة أُخِذت أسيرةً من الحرب شريطة أن تكون غير مسلمة؛ لأنه لا يجوز أن تسبأ المسلمة وتسترقَّ.

وهو لفظ يستخدم للإشارة للعبيد الإناث، اللاتي استعبدن عبر أسر الحروب أو من قبل قطَّاع الطرق أو من وُلدَت لأمةٍ، وعبد مملوك، تسمى جارية وأمة (جواد، 7).

المحور الثاني: ظهور الجواري في الدولة العباسية

أدىَّ العصر الأموي وبدايات العصر العباسي إلى توالي الفتوحات الإسلامية واتساعها إلى كثرة الاسترقاق الهائل من الأمم المفتوحة، وما أعقبها من توزيع المسترقين رجالاً وذراري(*) (ابن منظور، 311) على العرب الفاتحين(ابن الجوزي، 58) وفي هذا المحتوى كان الرقيق للفاتح كالمتاع له الحق في بيعه وهبته وعقابه وهو حرٌ في رقيقه (ابن طيفور، 42)، ومما لا شك فيه يتبين للباحث أن

(*) النخاس: تاجر الرقيق.

(*) الذراري: مفردها ذريةٌ، أي ذرية الرجل، ولده ونسله أي نسل وأولاد.

الفتوحات الإسلامية عادت بكثير من الخيرات للمسلمين ومن أهم هذه الخيرات الرقيق فكانت متاع للمسلمين وله الحق في ما يفعلون بهم بحرية ويعد خادماً لهم تحت أمرهم، ولكن مع هذا كله لا يجوز للمسلم أن يعامله بأي طريقة منافية لدين الإسلام، حيث جعل الإسلام شروطاً وضوابطاً لهم، دخلت الجواري للدولة العباسية أيضاً عن طريق الشراء من سوق النخاسة كما أسلفنا في السابق عند تعريف الجواري في اللغة.

فقد استفادوا من الرقيق وفي العصر العباسي خاصةً حيث أدخلوا الجواري في حياتهم الاجتماعية بشكل كبير جداً، حتى أن الجواري لعبن دوراً مهماً في حياة الخلفاء أثناء دخولهن البلاط العباسي.

وأصبحت الجواري موزعات في دُورٍ مختلفة من فئات المجتمع على اختلاف درجاتهم الاقتصادية، أو العلمية، أو الثقافية، أو الفنية، وهنا أصبح للجواري في العصر العباسي كما ذكره المسعودي أن لهن شأن عظيم ومنزلة عليا، لم تشغلها الحرائر في الدولة العباسية، لا سيّما ما فيما يخص تدخلهن في الأمور السياسية والإدارية، فضلاً عن وظيفتها المالية(بتصرف من المسعودي،2/ 112).

لقد كثرت الجواري وبرز دورهن في قصر الخلافة حتى تدخلت في أمور الدولة وسياستها وكان تدخلهن يزداد ويقل (الجاحظ،91)، ويستشف الباحث مما سبق أن كثرة وقلة تدخل الجواري في الدولة يتبع شخصية الخليفة كما ذكره الجاحظ.

وذكر ابن الأثير:" إن الخليفة أبا جعفر المنصور يحرر دار الخلافة من نفوذهن، ويبعد الجواري عن العاصمة"(ابن الأثير، 116/5)، ويتضح للباحث أن الخليفة أبا جعفر المنصور يرجع كل ذلك لحنكته السياسية عكس ما حدث مع الخليفة المقتدر بالله.

المحور الثالث: نماذج من الجواري المهمات في الدولة العباسية

يعج البلاط العباسي بالكثير من الجواري، ووصولهن إلى سدة السلطة المركزية وهنا لا يسع المقال لسرد جميع الجواري؛ لهذا اختار الباحث نماذج من الجواري اللاتي كان لهن دور بارز في الدولة العباسية:

الجارية خيزران ودورها الاجتماعي والسياسي:

هي مولاة المهدي وحبيبته، وأم ولدية موسى الهادي وهارون الرشيد. رزقت من سعادة الدنيا ما لا يوصف، كان مغلها ستين ومئتي ألفٍ في السنة . وفيها يقول:

يا خيزران هناك ثم هناك أمسى يسوس العالمين ابناك

وإياها عنى بشار بن برد في قوله:

خليفة يزنى بعمـــاته يلعب بالدبوق(*) الصولجـــان(*)(ابن عبد الله، 54)؛ (الجواليقي،213).

أبدلنا الله به غيـــره ودس موسى في حر الخيزران.(السيوطي، 17)

قد عَرِفت الجارية خيزران في العصر العباسي بأنها من الجواري اللاتي صعدن إلى سلم بلاط الدولة العباسية، حيث ذكرها ابن عبد ربه: " إنها سيطرت على قرارات الخليفة نفسه ومنهن زوجة الخليفة المهدي، وأم هارون الرشيد، وهي الخيزران بنت العطاء" (ابن عبد ربه، 95/5)، واستنادا إلى ما سبق يرى الباحث أن الجارية الخيزران لقد لعبت دوراً مهماً في الحياة الاجتماعية، والسياسية، ولديها قدرات رهيبة للوصول إلى مطلبها، حيث أصبحت أم لخليفة، وبعدها أصبحت زوجة خليفة، وسيطرت على الكثير من قرارات الدولة العباسية في التنصيب والعزل، وهذا دليل على قدرتها للوصول إلى مطلبها إذ فاقت الحرائر بذلك.

وذكر السيوطي: أنها تميزت بالطموح والرغبة في المراكز الاجتماعية وأنها ذات أصول يمانية(السيوطي، 24).

وأما من الناحية السياسية فقد كانت تفصل في أمور سياسية حساسة في الدولة العباسية، فقد رفضت إعطاء ولاية العهد للهادي بن المهدي الأكبر، وأقنعت زوجها بذلك، فذهب لمحاصرة ابنه وفي طريقة مات فاستلم الخلافة بعده الهادي فتصبح أمه بأن تترك ما ليس لها به شأن، وتطور الخلاف حتى أصبح عداء فقيل أنه حاول اغتيال أمه بالسُّم، ولكن خبرتها كجارية أنقدتها من الموت فأعطته السم عن طريق الجواري في مرضه، وقد توفي الهادي في ربيع سنة(170هـ / 786م) وصلى عليه أخوه الرشيد(ابن عبد ربه، 55/5)، وبطبيعة الحال أن الجارية الخيزران كانت لديها ذكاء سياسي حتى أنقدت نفسها من الموت المحقق.

(*) الدابوق: غراء يصاد به الطير.

(*) الصولجان: عصا معقوفة طرفها يضرب بها الفارس الكرة؛ ويضيف الجواليقي: الصولجان: بفتح اللام: المحجن.

ويذكر الأبشهي: " لقد تزوج الخليفة المهدي عدة جوارٍ ... وأول من حظي منهن عنده رحيم ولدت له العباسة تم الخيزران فكانتا مغنيتين محسنتين" (الأبشهقي، 220)، ويضيف قائلاً: " وأعتق الخيزران فأنجبت له ولدين موسى الهادي وهارون الرشيد، ولم يكن لامرأة أن تنجب خليفتين قبلها إلا أم الوليد زوجة عبد الملك بن مروان، إذ كانت صاحبة جرأة ووصلت في الحكم في أمر السياسة في البلاط العباسي(المصدر نفسه، 220)، ويتبين للباحث مما سبق أن وصول الخيزران للبلاط العباسي كان لحنكتها وسياستها، وأنها وصلت إلى مكانة مفضلة عن الآخرين، رغم وجود العديد من الجواري، لكن تميزت وفاقتهن وفاقت الحرائر هذا دليل على ذكائها السياسي والاجتماعي.

الجارية شغب ودورها الاجتماعي والسياسي:

تعدّ الجارية شغب واحدة من أهم الجواري اللاتي لعبن دوراً كبيراً في حياة الخلفاء العباسيين، وهي كانت زوجة الخليفة المعتضد بالله العباسي، وأم الخليفة العباسي المقتدر بالله، وكانت إحدى جواري المعتضد وسيدة له حيث أطلق عليها شغب ولقبها به وعرفت به وانتشر سيطها بعدما زاد بطشها، وبعد أن أصبحت زوجة خليفة، وأم خليفة أصبح لها دور مهم وبارز في البلاط العباسي(ابداح،71).

وقد كان قصر الخليفة يعجُّ بمؤامرات حريم الخليفة حيث لقيت العديد من نساء الخليفة المعتضد حتفهن بالسُّم، خصوصاً من تلد منهن ذكراً، ومنهن قطر الندى بنت أحمد بن طولون ومنهن وريرة التي استملكت قلب الخليفة مدة من الزمن وقد انشأ لها حمام سباحة(السيوطي،114)، ويرى الباحث مما سبق أن ذكاءها الاجتماعي سخرته للجانب السياسي لهذا طغت على قلب الخليفة وأصبح ألعوبة بين يديها. وحين ماتت بكاها الخليفة، ورثاها في شعره(ابداح،72.71)، وبالطريقة نفسها توفيت جيجيك الزوجة الزكية للخليفة، وأم ابنه المكتفي، وولِيَ ابنها الخلافة وهو ابن الثالثة عشر، وسمي بالمقتدر، وحكم ربع قرن وطول مدة حكمه تحكمه أمه في شؤون الدولة(الأصفهاني،227/5)، والواضح أنها كانت تلعب دوراً سياسياً يفوق دور الخليفة نفسه، وليس هذا فقط، بل عينت قهرمانتها(*)(الطبري،125/6)" شمل " منصباً يعادل القضاة لتنظر في عرائض الناس، فكانت تجلس ويحضر الفقهاء والقضاة والأعيان وتبرز التواقيع وعليها خَطُّها، فعرضت على إسحاق بن إبراهيم الموصلي (ابن دحية،209).

(*) **القهرمانة:** أنها لون من ألوان الجواري عرفه المجتمع العباسي وهي أرفع منزله وشأن في شريحة الجواري التي تنتمي إليها داخل البلاط العباسي.

الجارية شارية ودورها الاجتماعي والسياسي:

إن الجارية شارية كانت لامرأة من الهاشميات بصرية فحملتها لتبيعها ببغداد فاستغلاها لم يشتريها فعرضت بنفس الثمن إلى إبراهيم بن المهدي فاشتراها وأهتم بها تم بعد سنة أعرضها لإبراهيم الموصلي لسماع غنائها فأعجب بصوتها، فأجابه بأنها هذه الجـــارية التي عرضت عليك بثلاثة آلالف دينار فأعجب بها إعجاباً شديداً فلم يزل يعطي بها حتى بلغت ثمانية آلاف دينار(الأصفهاني، 10/16).

وصلت شارية لمرتبة متميزة في غنائها حتى أنها شردت الجميع بصوتها عند سماعها حيث ذكر السيوطي امتناع إبراهيم عن بيع شارية مهما كان ثمنها قال: " أعطى المعتصم إبراهيم بشارية سبعين ألف دينار فامتنع عن بيعها(السيوطي، 82)، ويتحقق للباحث مما سبق أن الجارية شارية تميزت بالجانب الاجتماعي وخاصة بغنائها وصوتها العذب الجميل.

ذكر الأصفهاني إعجاب إبراهيم بن المهدي بصوتها وأنه لا يقّدّر بثمن فقال:

يا شارية تغني فسمعت شيئا ذهب بعقلي ... أن أبيعها بسبعين ألف دينار لا والله، ولا هذه الساعة الواحدة بسبعين ألف دينار(الأصفهاني، 11/16)، وكانت شارية أحسن الناس غناء منذ توفي المعتصم إلى آخر خلافة الواثق(المصدر نفسه، 12/16)، وكانت الجارية شارية من أكرم الناس، وكان المعتمد قد وثق بشارية، فلم يكن يأكل إلا طعامها، فمكثت دهراً من الدهور تعد له في كل يوم طعام خاص به (السيوطي، 23)، والواضح أن الخليفة المعتمد أصبح لدية ثقة كاملة في الجارية شارية، و بنى عليها حياته الاجتماعية، ومن تم السياسية.

المحور الرابع: ملابس الجواري في الدولة العباسية

أدى تكاثر الجواري وشيوع التسري(*) (الصالح،459) إلى ذهاب الغيرة من قلوب الرجال حتى صاروا يتهادون الجواري الروميات والتركيات والفارسيات وهن أجمل صورة وأشرف وجهًا من نساء العرب (زيدان،247) لذا قامت هذه الجواري بارتداء أجمل الملابس المحببة فيهن للاستفادة من رجال

(*) التسري: كانت معروفة في الأمم القديمة كلها ولكن من غير حدّ محدود ، وأن أنبياء التوراة جميعاً بلا استثناء كانت لهم زوجات كثيرات ، حتى كان في عصمة النبي سليمان وحده سبع مئة امرأة من الحرائر وثلاث مئة من السراري الإماء ! وأن بعض الباحثين يؤكد أن اقتناء السراري كان في المسيحية مباحاً على إطلاقه كتعدد الزوجات.

الدولة العباسية وخاصة رجال القصر، وفي هذا العصر كان الاهتمام بالجواري كبيرًا حيث ذكر ابن منظور: " أُهديت إلى الرشيد جارية في غاية الجمال والكمال، فخلا بها أيامًا، وأخرج كل قينة (*)(ابن منظور، 351/13) من داره، واصطبح يومًا، فكان من حضر من الجواري للغناء والخَدَمة في الشراب وغيره زهاء ألفي جارية في أحسن زيّ، من كل نوع من أنواع الثياب، والجوهر " (ابن عساكر،316/73)، ويتبين لنا جليًا من هذه الرواية أن الرشيد كان يغدق الأموال على الجواري وخاصة في ملابسهن ، لهذا ظهرن بالمظهر الحسن أمام الخليفة، وأيضا أشتهرن بلعب الشطرنج، وكان الرشيد يهوى الشطرنج وجاريته، ويبدو أنه قد طغى شغفه بالجارية على شغفه بالشطرنج(بشينة، الشطرنج،251)، وهذا دليل على أن الجارية كانت قد استحوذت على قلب الرشيد، ويضيف قائلاً: في لعبة النرد إن اللعب بالنرد كان كثيراً في هذا العصر لهذا حتى الجواري يُجِدْن اللعب به (بشينة، النرد، 43).

وكذلك ذكر الأصفهاني رواية عن حماد بن إسحاق يذكر أنه رأى الرشيد مع إحدى جواريه قال: " أرسل إليَّ الرشيد ذات ليلة فدخلت إليه فإذا هو جالس وبين يديه جاريةٌ عليها قميص مُوَرَّد وسَراوِيلُ مورَّدة كما في الشكل (1) وقِناع مورَّد كأنها ياقوتة على وردة " كما في الشكلين (2. 3) (الأصفهاني،286/5)، والواضـــح

(*) القينـة : الأمـة المُغنيـة ، وتكـون مـن التـزَيُّن لأنهـا كانـت تَتـزَيَّنُ ، وربمـا قـالوا للمُتَـزَيِّن باللبـاس مـن الرجـال قيَنـة ؛ قـال : وهـي كلمـة هَذلّيـة ، وقيـل : القيْنـة الأمـة ، مُغَنّيـة كانـت أو غيـر مغنيـة ...أراد بالقيان الإماء أنهنّ ردَدْنَ الجِمال إلى الحيَّ لسَدَّ أَقتابها عليها ، وقيل : رَدَّ القيانُ جمالَ الحيَّ العبيد والإماء .

الشكل (1) سروال وقميص في جزء من طبق من الخزف في منتصف القرن السابع الهجري(13م) في مجموعة كليكيان . نقلًا عن صلاح العبيدي ، **الملابس العربية الإسلامية** ، ص 651 .

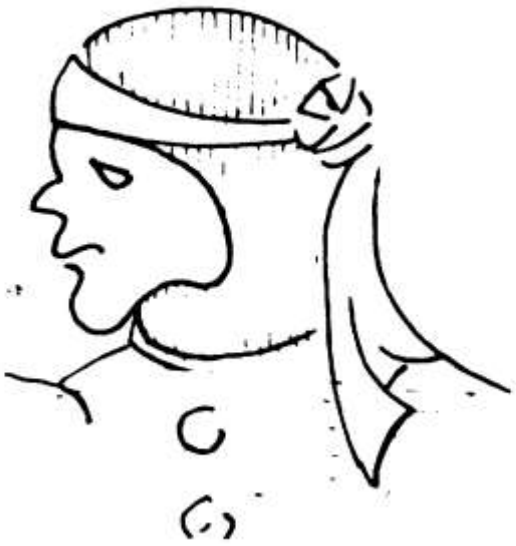

الشكل (2) قناع في كسرة من الخزف ترجع إلى حوالي القرن السابع الهجري (13م) محفوظ في متحف برلين الغربية . نقلًا عن صلاح العبيدي ، **الملابس العربية الإسلامية** ، ص **630** .

الشكل (3) قناع في جزء من طبق من الخزف يرجع إلى حوالي القرن السابع الهجري (13م) في مجموعة كليكيان . نقلًا عن صلاح العبيدي ، **الملابس العربية الإسلامية** ، ص **629** .

من وصف الأصفهاني لملابس الجارية أنها تمتلك حفاوة الرشيد لذا ظهرت ملابسها بهذه الصورة، ويتحقق للباحث أن للملابس دور كبير في وصول بعض الجواري لمآربهن.

ويقول أحمد أمين: فكان للمأمون جوارٍ روميات، يلبسن لِبْسهن الرومي من زُنَّار ، وما إليه (أمين،295)، وكانت الجواري تشيع في المجتمع بحسب الجمال في صور المختلفة، بما يلتزمنه من التجمل في الملبس، والزينة(سلام،78)، ذكر الجاحظ أبياتًا من الشعر يصف فيها ملابس الجواري :

لها زِيٌّ الغُـــــــلامِ ولم أقسْها

إليْهِ ولمْ أُقصـــــــــــرْ بالغُــلامِ

وقال عُكَّاشة:

مَطْمومَةُ الشَّعْر في قُمْصٍ مُزرَّرةٍ

في زِيَّ ذي ذكَرٍ سِيماهُ سِيماها(الجاحظ،295).

والواضح من هذه الأبيات أن هناك بعض الجواري تتشبهن في اللباس بلباس الرجال، وكما كانت بعض الجواري يستخدمن هذه الملابس [الشفافة] كإشارات متفق عليها مع عشاقهن لتحديد مواعيد للقاء(نبيلة حسن محمد وآخرون،254).

ويضيف صاحب شرح مقامات الحريري عن زوجة الرشيد زبيدة: " ولما أفضي الأمر إلى ابنها الأمين رفع منازل الخدم ككوثر وغيره، فلما رأت حُبهُ فيهم اتخذت له الجواري المقدودات الحسان الوجوه، وعمّمت رؤوسهن، وجعلت لهن الطّرَر والأصداغ والأقفية، وألبستهن الأقبية والقراطق والمناطق، فبانت قدودهنّ، وبرزت خُصورهن، وبعثت بهنّ إليه، فاستحسنهنّ وأبرزهن للناس، فسموهن الغلاميات "(الشربيشي،157/3)، ويضيف قائلًا: " فقال : لبعض الندماء: لاعبه بالشطرنج، قال: أعزك الله، وفي هذا العهد أن العباسيين تفننوا فيما يكتب على تلك الفصوص وما ينقشه أهل الهوى على خواتمهم وما يكتب على ذيول الأقمصة كما في الشكل (4) والأردية والأكمام(الحنفي،22).

وذكر الأصفهاني رواية عن حماد بن إسحاق عن أبيه: " فلم ألبثْ أن جاء خادمٌ يقودُ حمارًا فارهًا عليه جاريةٌ راكبة، تحتها منديلٌ دبيقي وعليها من اللباس الفاخر ما لا غايةَ بعده، ورأيتُ لها قوامًا حسنًا وطرفًا فاترًا وشمائل حسنة؛ فخرصت عليها أنها مُغنية "(الأصفهاني،424/5)، والواضح من ملامح هذه الجارية أنها تتمتع بالتنعم في اللباس لذا ظهرت بهذا المظهر، دخل أحمد بن صدقة على المأمون في

الشكل (4) قميص محفوظ في متحف النسيج في (كولومبيا) يرجع تاريخه إلى حوالي سنة 403هـ (1012م) . نقلًا عن صلاح العبيدي ، **الملابس العربية الإسلامية** ، ص **527** .

يوم الشعانين وبين يديه عشرون وصيفة جلبًا، روميات، مزنرات قد تزين بالديباج الرومي، وعلقن في أعناقهم صلبان الذهب، وفي أيديهن الخوص والزيتون، فقال المأمون : ويلك يا أحمد ! . هلَّا قلت في هؤلاء أبياتًا فغنى فيها ثم أنشد:

ظباءٌ كالدنانـــــير ملاحٌ في المقاصـــــير
جلاهنَّ الشعانَيــن علينـا في الزنانـــــير
وقد زرفنَّ أصداعَا كأذنـــــاب الزرازيـــــر
وأقبلْنَ بأوســـــاطٍ كأوســـــاطِ الزنابـــــير (سلام،80).

وذكر ابن يحيى الوشاء:" رأيت جارية، ونحن عند محمد بن عمرو بن مسعدة (*) (الزركلي،86/5)، لم أشك أنه عاشق لها؛ وإليها مائلٌ، لما رأيت من حركاته إذا نظرت وسُرورِه إذا نطقت، وتهلُّلِه إذا غنَّت، وكانت فوق وصف الواصف من الحسن والجمال، وعليها قَميص موشحٌ، ورِداء مُعَيَّنٌ كما في الشكل (5)، مكتوب

الشكل (5) صحن من الخزف من نوع ميناني مؤرخ في سنة 583هـ/1187م مجموعة أوسكار روفانيل مجموعة من النساء يظهر عليهن الرداء . نقلًا عن صلاح العبيدي ، **الملابس العربية الإسلامية** ، ص **454**

في وشاح القميص" (الوشاء،317).

أغيبُ عنكَ بوُدٍّ لا يُغَيـــرُّهُ نأيُ المَحَلّ ولا صَرفٌ مِنَ الزَّمَنِ

(*) محمد بن عمرو بن مسعدة: ذكره الزركلي عمرو بن مسعدة بن سعد بن صول، أبو الفضل الصولي: وزير المأمون ، وأحد الكتاب البلغاء، كان يوقع بين يدي جعفر بن يحيى البرمكي في أيام الرشيد، واتصل بالمأمون،= = فرفع مكانته، وأغناه، وكان مذهبه في الإنشاء الإيجار واختار الجزل من الألفاظ، وفي كتب الأدب كثير من رسائله وتوقيعاته، وكان جوادًا ممدّحًا فاضلًا نبيلًا.

تَعتلُّ بالشُّغلِ عنَّا ما تُكلِّمُنا الشُّغلُ للقَلبِ ليسَ الشغلُ للبَدَنِ (المصدر نفسه،317).

قال: ورأيت جارية لبعض الهاشميين يقال لها (عريب)، عليها قميص ملحم، موشح بالذهب، مكتوب في وشاحه:

وإني لأهواهُ مُسيئًا ومُحسنًا وأقضي على قَلبي له بالذي يقضي

فحتى متَّى رَوْحُ لا يَنـالُني وحتَّى متى أيامُ سُخطِكَ لا تَمضي وعلى طراز كمه:

إذا صَدَّ من أهوى وأسلمني الكرى

ففرقة من أهـــــــوى من الجمر

ورؤى مكتوبًا على قميص جارية بالفضة والذهب سطرًا سطرًا:

يا فتى قلت إذ دعـــــاني هواه

مستجيبًا لصـــوته لبَّيكا

ما بكت مقلتي لفـــــقدك إلا

جزعًا أن أموت شـوقًا إليكا

وكتبت بنان جارية الخيزران على ترانين درَّاعة لها بذهب كما في الشكل(6):

الشكل (6) سلطانية من الخزف ذات رسوم فوق الدهان من صناعة القيشاني حوالي القرن السادس الهجري (12م)من مجموعة كليكيان امرأة تلبس دراعة . نقلًا عن صلاح العبيدي ، **الملابس العربية الإسلامية** ، ص 510.

لم تقل قولًا ولكـــــــن حلفت

أنـها أحـــــسن عين أطرقت

زعمت أني قد لا حظـــــــتها

أيُّ عين لحـــظت فاعترفت

أظهرت حجَّة من يعشقها

واستباحت غفلةً وانصرفت (الحنفي،23).

وعلى طراز كمها:

ليس بي صبر ولا بي جلد

قد نفى حبَّك عـنى جلدى

ووجد مكتوبًا على وشاح قميص جارية:

أحسن ما خـــلق الله وما لم يخـــــــــلقه

شكوى فتـــــاة وفتى يعشقها وتعـــــشقه

نار الهوى دانـــــية تحرقها وتحـــــرقه

يا حبذا الحـــــب إذا دام ودامت حـــــرقته (الحنفي،23).

وكتبت جارية الأحدب على وشاح قميصها:

إذا وجدت لهيب الشوق في كبدي

أقبلت نحو شقاء القوم أبترد

هبني طفـــئت ببرد الماء ظاهرة

فمن لحرَّ على الأحشاء يتقد

وكتبت جارية أبي حرب على رداء لها ممسَّك:

من ألف الحـــــب بكى من شفَّه الشـــوق شكا

من غاب عنـــــه ألفه أو صـــدَّ عـــنه هلكا

يا مالكًا عذبـــــــتني بجـــــوره إذ مـــلكا

رفقًا بممـــــــلوكك ما يحلُّ ذا الظـــــــلم لكا

وكتبت أخرى على قلنسوتها أيضًا:

الحب يعرف في وجوه ذوي الهوى

باللحظ قبل تصافح الأجفان

ووجد على قلنسوة " شمائل " الجارية:

ليلى بوجهك مشـــــرق وظلامه في الـــليل ساري

فالناس في سدف الظلام ونحن في ضـــــوء النهار

ورؤى على عصابة جارية مكتوب بالذهب:

ما كنت إلاَّ حـــــــلما رأته عـــــيني في الوسن

يا سمح الفـــــــعل ويا أحسن من كـــــل حسن(الحنفي،23).

وذكر الأصفهاني عن الواثق وجاريته: " وإذا الواثق في صدره على سريرٍ مُرَصَّع بالجوهر وعليه ثيابٌ منسوجة بالذهب، وإلى جانبه فَرِيدة جاريته، وعليها مثلُ ثيابه وفي حجرها عود "(الأصفهاني،116/4)، والجلي الواضح أن الخليفة الواثق يلبس مثل جاريته رغم أن الرجال لا يلبسون كالنساء، وهذا مخالف للهوية العربية الأولى.

وكان القاسم بن عبيد الله وزير المعتضد ذات يوم بمفرده مع قيانه فوضع على إحداهن ملابس مصبوغة ودعا بكميات هائلة من الفواكه والحلويات (BERNARD LEWIS , OP.CIT, P 34.)، والواضح من ذلك اهتمام القاسم عبيد الله بالجواري والقيان اهتمامًا كبيرًا من حيث الترف في الملابس والطعام.

الخاتمة

وبعدما وفق الله الباحث في هذه الورقة البحثية التي عنونها بـ **(دور الجواري في الحياة السياسية والاجتماعية في الدولة العباسية (132-656هـ/ 749- 1258 م)** دراسة وتحليلا للعديد من الروايات التاريخية عن الجواري في أمهات مصادر التاريخ الإسلامي، وكذلك المصادر اللغوية، وهو موضوع كبير؛ لهذا اختار الباحث نماذج من الجواري فقط حتى يتبين القارئ، ودارس موضوع الجواري ما الدور التي لعبنه في تسيير الدولة العباسية في جميع مناحي الحياة، وقد خلصت الورقة البحثية إلى عدة نتائج لعل أهمها:

– هناك العديد من الجواري لعبن دوراً سياسياً واجتماعياً حيث أصبحن أمهات الخلفاء وأصبحن زوجات الخلفاء، كالجارية الخيزران.

– وأيضاً سيطرن على الكثير من قرارات الدولة العباسية في تنصيب وعزل الخلفاء، والوزراء، والقضاة، وغيرهم، وكذلك رفضهن إعطاء ولاية العهد كما حدث للهادي بن المهدي.

– ساهمت الجواري في الدولة العباسية في العديد من مؤامرات حريم الخليفة حيث لقيت العديد من النساء حتفهن بالسم كما حدث زمن الخليفة المعتضد.

– ومن أهم النتائج أيضاً أن العديد من الجواري في الدولة العباسية كان لهن ذكاؤها الاجتماعي سخَّرنه للسياسة، ووصل الأمر إلى أن أصبح بعض الخلفاء لعبة بين يدي الجواري كالجارية جيجيك أم المكتفي، وولي ابنها الخلافة وهو ابن الثالثة عشر، المسمى المقتدر، حيث حكم ربع قرن وطول مدة حكمه تحكمه أمه في شؤون الدولة سياسياً، واجتماعياً، واقتصادياً، حتى وصل الأمر بأنها عينت قهرمانتها المسماة شَمْل منصباً يعادل القضاة لتنظر في قضايا الناس ومشاكلهم وهمشت دور القضاة وغيرهم.

– تعدد مواهب الجواري في العديد من مناحي الحياة، حيث كان منهن من تجيد الغناء بصوت حسن، والضرب على العود، ولعب الشطرنج، والنرد، وغير ذلك من المواهب التي فقْنَ بها الحرائر.

– ومن خلاصة النتائج التي وصل إليها البحث هو تشبه بعض الخلفاء بالجواري لكثرة اختلاطهم بهن كما حدث الخليفة الواثق كان يلبس مثل جاريته رغم أن الرجال لا يلبسون كالنساء، وهذا مخالف بأنْ للهُوية العربية الأولى، والدينية.

– كان الشغف والحب الشديد عند بعض الخلفاء للجواري يجعلهم يدفعون الأموال الطائلة لشراء الجواري كما حدث مع المعتصم بأن أعطى إبراهيم الموصلي في جاريته شارية سبعين ألف دينار وهذا المبلغ في ذلك العصر كبير جداً.

– ومن أهم نتائج البحث أيضاً أن قضية ملابس الجواري كان لها دورٌ كبير في الوثب على قلب الخليفة أي ما يسميه الباحث التغلغل العاطفي؛ لأن الخلفاء العباسيين لديهم فراغ منه ولم يجدوه في الحرائر، ومن الملاحظ بعد الاستحواذ على قلب الخليفة تستحوذ تدريجيا على زمام الحياة السياسية، والاجتماعية، والاقتصادية.

المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر

-**الأبشهي**. شهاب الدين محمد بن أحمد، (د.ت)، **المستطرف في كل فن مستظرف**، مكتبة الجمهور العربية، القاهرة، (د.ط).

- **ابن الأثير**. أبو الحسن علي بن مكرم، 1953م ، **الكامل في التاريخ**، دار المبشرية، القاهرة، (د.ط).

- الجاحظ . أبو عثمان عمرو بن بحر، 1984م ، كتاب مفاخرة الجواري والغلمان ، تح : شارل بلاّ، دار المشرق ، بيروت ، 1957م.

ـــــــــــــــــــــــ، **البيان والتبيين**، دار الفتوح، القاهرة، (د.ط).

ـــــــــــــــــــ ، (د. ت)، رسائل الجاحظ القيام ، تح : عبد السلام محمد هارون ، مكتبة الجاحظ، القاهرة ، ط 1.

- **الجواليقي**. موهوب بن أحمد بن محمد، 1391هـ، **المعرّب من كلام الأعجمي على حروف المعجم**، تح: أحمد محمد شاكر، مطبعة دار الكتب المصرية، القاهرة.

- **ابن الجوزي**. أبو الفرج عبد الرحمن، 1962م ، **المنتظم**، تح: مصطفى عبد الواحد، دار المعارف، القاهرة، (د.ط).

- **ابن دحية**. أبي علي حسن، 1946م ، **كتاب النبراس في تاريخ خلفاء بني العباس**، تح: عباس العزاوي، مطبعة المعارف، بغداد.

- **السيوطي**. خلال الدين، (د.ت)، **المستطرف من أخبار الجواري**، تح: عبد الله المنشاوي، مكتبة الإيمان، القاهرة، (د.ط) .

- **الشُّريْشي**. أبو العباس أحمد بن عبد المؤمن بن موسى القيسي، 1998م ، **شرح مقامات الحريري**، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1.

- الطبري. محمد بن جرير، 1961م ، تاريخ الأمم والملوك، دار الكتب العلمية ، بيروت،(د.ط).

- **ابن طيفور**. أبو الفضل أحمد، 1968م، بغداد في تاريخ الخلافة العباسية، مكتبة المتنبي، بغداد، (د.ط).

- **ابن عبد ربه**. أحمد بن محمد، (د.ت) ، العقد الفريد، دار إحياء التراث العربي، بيروت،(د.ط).

- **ابن عساكر** . أبو القاسم علي بن الحسن بن وهبة الله ، 2001م ، تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها ، تحقيق : محب الدين أبي سعيد بن غرامة العمري ، دار الفكر ، بيروت ، ط 2.

- **المسعودي**. أبو الحسن علي بن الحسن، 1965م ، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، دار الكتب العلمية، بيروت.

- **ابن منظور**. محمد بن مكرم بن علي ، (د.ت) ، **معجم لسان العرب** ، تح: عبد الله علي الكبير وآخرون، دار المعارف ، القاهرة، (د .ط).

- الوشاء. ابن يحيى، أبو الطيب محمد بن أحمد بن إسحاق ، 1986م، الظرف والظرفاء ، تح : فهمي سعد ، عالم الكتب ، بيروت ، ط1.

ثانياً: المراجع

- **ابداح**. محمد إبراهيم، 2016م ، **أسياد العبودية. حقائق بين التلفيق والتوثيق**، دار الجنان، عمان، ط1.

- **أمين** . أحمد ، 2002م ، **ضحى الإسلام** ، الهيئة المصرية للكتاب ، القاهرة ، (د. ط).

- **الجواد**. مصطفى، 1951م ، سيدات البلاط العباسي، دار الكشاف، بيروت، (د.ط).

- **الحنفي**. محمود أحمد ، (د. ت) ، **زرياب أبو الحسن علي بن نافع** ، الدار المصرية للتأليف والترجمة ، القاهرة، (د.ط).

- **رضا**. أحمد، 1958م ، **معجم متن اللغة** ، دار مكتبة الحياة ، بيروت ،(د.ط).

- **الزركلي**. خير الدين، 1990م، **الأعلام قاموس تراجم لأشهر الرجال والنساء من العرب والمستعربين والمستشرقين**، دار العلم للملايين، بيروت، ط9.

- **زيدان**. جرجي، (د.ت) ، **تاريخ التمدن الإسلامي** ، منشورات مكتبة الحـــياة ، بيروت،(د. ط).

- **سلام**. محمد زغلول ، **الأدب في عصر العباسيين منذ قيام الدولة حتى نهاية القرن الثالث** ، المعارف ، الإسكندرية ، 1995م.

- **الصالح**. صبحي، 1976م، **النظم الإسلامية نشأتها وتطورها** ، دار العلم للملايين، بيروت، ط 3.

- **ضيف.** شوقي، 2004 م ، **معجم الوسيط،** مكتبة الشرق الدولية، مصر، القاهرة ، ط4.

- **عبد الله.** عبد العزيز، (د.ت)، **معجم الرياضة واللعب ومعجم اللعب العربية القديمة،** المكتب الدائم لتنسيق التعريب في العلم العربي، الرياض، (د.ط).

- **العبيدي.** صلاح حسين، 1980م ، **الملابس العربية الإسلامية في العصر العباسي الثاني من المصادر التاريخية والأثرية** ، منشورات وزارة الثقافة والأعلام . دار الرشيد للنشر ، العراق، (د.ط).

- عطية. أحمد، (د. ت) ، **القاموس** الإسلامي، مطبعة النهضة المصرية، القاهرة، ط1 .

- **الفيومي.** أحمد بن محمد ، 2010م، **المصباح المنير،** المكتبة العلمية ، بيروت ، ط1.

- **محمد** . نبيلة حسن. إبراهيم عبد المنعم سلامة أبو العلا ، 2001م ، **في تاريخ الحضارة الإسلامية** ، دار المعرفة الجامعية ، القاهرة.

- **نجم.** زين العابدين شمس الدين، 2006م ، **معجم الألفاظ والمصطلحات التاريخية،** الزهراء كمبيوتر سنتر، القاهرة، ط 1.

ثانياً: الدوريات

- **بشينة.** محمد عمر، 2015م ، **دور لعبة الشطرنج في النشاط الترويحي للخلفاء العباسيين،** مجلة الجامعة المغاربية. دورية محكمة نصف سنوية، السنة 9، العدد 17.

- **بشينة.** محمد عمر، **دور المراهنة في تقوية لعبة النرد عند الخلفاء العباسيين،** مجلة العلوم الإنسانية والتطبيقية، كلية الآداب زليتن. دورية محكمة نصف سنوية، العدد 26.

ثالثاً: المراجع الأجنبية

*- BERNARD LEWIS K, 1987, ISLAM FROM THE PROPHET MUHAMMAD TO THE CAPTURE OF CONSTANTINOPLE , OXFORD UNIVERSITY .PRESS ,

The role of female slaves in the political and social life in the Abbasid state (132-656 AH / 749-1258 AD)

*- **Mohammed Omar Bashinah**
*- Department of History, College of Arts, Asmariya University, Zliten, Libya..

Abstract

The Abbasid state is one of the most important Islamic states that reached the golden age in all aspects, especially the political and social aspects. He gave his life a political and social aspect. This research paper aims to address the role of female slave girls in the political and social life of the Abbasid state, while showing the skills of female slave girls that differ according to their nationalities. The nature of the subject requires the use of the historical approach and the inductive approach of historical, literary and linguistic accounts, using the method of analysis and conclusion as possible, in order to provide an academic scientific study. Among the most important results of the research: there are many female slave girls who played a political and social role, as they became the mothers of the caliphs and became the wives of the caliphs, like the female slave, and also controlled many of the decisions of the Abbasid state in the installation and dismissal of the caliphs, ministers, judges, and others, as well as their refusal to give the mandate of the covenant, as happened For Al-Hadi bin Al-Mahdi, and the slave girls in the Abbasid state participated in many plots of the caliph's harem, in which many women met their deaths. Keywords: concubinage. The slave girls. bamboo. harman